

يبدأ الحزنُ رحيماً

فاطمة خضر، سورية

خلف كواليس الحرب

صباحاً

أو قبل الصُّبحِ بقليلٍ

كانت الرِّيحُ تدفَعُنَا برهافةٍ

فالتصقُ ببعضنا البعض

في طابورٍ يتنأبُ

.

نمدُّ يدنا

من كوةٍ باردةٍ

لنحصلَ على عجيبٍ

مُوثى بالسَّوادِ

.

صباحاً

أو بعدَ الصُّبحِ بقليلٍ

كانت الرِّيحُ بلطفٍ تدفَعُنَا

لنلتصقُ ببعضنا البعض في حافلةٍ مثقوبةٍ

ننتظرُ عبورَ حواجزِ مُحمّلين بالدُّعْرِ أن تنفجرَ

فنصيرَ بلمح البصرِ حَمَاماً

تدفعُهُ الرِّيحُ بِعَجَلٍ

صوبَ القَناءِ

.

صباحاً...

أو بَعَدَ الصُّبْحِ بِكَثِيرٍ
 برفقٍ كانت الرِّيحُ تدفَعُنَا
 لِنلتحم ببعضنا في طابورٍ كَثِيبٍ
 نَعُدُّ القَهَرَ بَدَلَ الخِرافِ، خِشْيَةً أَنْ نغفُوَ
 فيفوتُنَا دورُ استلامِ اسطوانَةِ غازٍ سحرِيَّةٍ
 تدومُ بركتُها ستينَ يوماً
 فنرجعُ إلى المنازلِ
 بهيئةِ حمقى
 منتصرين

بكفوفٍ تثلجُ
 وملامحَ ترعدُ
 وأفئدةٍ تفيضُ بِحُزنِ البغالِ
 نجتمع في العتمة حَوْلَ
 عشاؤنا الفاخرِ

عجيبٌ مُتَشِحٌ بالسَّوادِ
 نُغَمِّسُهُ بالماءِ والسُّكَّرِ
 علَّ مذاقَهُ يُعْري أياَمَنا الهَرِمَةَ
 التي تدفَعُها الرِّيحُ بِالْمِ
 صوبَ الشَّقَاءِ

صباحاً

أو بعد الصُّبْحِ بِقَلِيلٍ
 أو ربما بِكَثِيرٍ
 بل في كُلِّ حينٍ

كانت الرِّيحُ بحيانٍ تدفُّعنا
إذ كُنَّا نَحْمَلُ نَعْشاً ونصيحُ حوله "أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ"
تولولُ الأُمُّ: ما همِّي لو صارَ هُنَاكَ حَيًّا!
يَصْمُتُ الأبُّ مُفَضَّلاً الموتَ واقفاً
يبكي طفلاً قائلاً بجديةٍ: أريدُ أبي حَيًّا
ومرّةً صرختَ عاشقةً:
"أيتها الموتُ رُدِّ قلبي"

لكنَّ الموتَ
كان يسخرُ منَّا جميعاً
وحتى من الرِّيحِ التي كانت تدفُّعنا بخجلٍ
صوبَ الحياة!

تناقضات

الكتابةُ
أَنْ تَشْقِي قَمِيصَكَ
وَتُنْكَلِي بِجَرِحِ أَضْمِرِ تَحْتَهُ
فتتركي ندبةً

الكتابةُ هي
جريمتي الوحيدة!

حتى المدنُ تتغيَّرُ
طبائِعُها!

كانت مدينةً وُسِّمَتْ بالحبورِ
وفي الأَمْسِ كُنَّا كعادتنا نَمْشِي يدي بيدك

لكن كانت شوارعُ اللاذقية تصفَعنا
هكذا أصبحت قاسيةً
بفعلِ شتائِنا!

صعدتُ الحافلة
لم يكنْ هناك مُتسعٌ للجلوس
بعدَ انتظارٍ حصلتُ على
مِقعدٍ ذي ظَهْرٍ مكسورٍ
فأسندتُ ظَهري
على خَيْبتي

هكذا إذن...
يحدثُ أنْ تسندنا خيبة!

في صدَى الظلامِ أكتبُ أمنياتي
الأولى: أنْ أغفرَ لوطني
الثانية: أنْ أغفرَ لك
الثالثة: سأُكملُها
عندما تأتي
الكهرباء

الماءُ الذي نشربُهُ
هو دموعُ الفقراءِ والمنكوبين
لذا لستُ قلقةً أبداً بشأنِ
نفاذِ الماءِ في وطني

كيفَ لكلِّ هذه السَّماءِ
أنْ تُغطي هذه الأرضَ؟

فالسَّمَاءُ واسعةٌ جداً
لكنَّ الأرضَ
ضَيِّقةٌ
جداً

ربما...

عليها أن تكونَ
أكثرَ طموحاً وجديَّةً
فَتُغْطِي أرضاً أخرى
أكثرَ رحابةً لأبنائها!

هكذا أبدو...

أنثى هادئةً

بابتسامةٍ هادئةٍ

بصوتٍ ذي طبقةٍ هادئةٍ
حركاتٍ يدي إن تحدَّثتُ هادئةً
أتناولُ طعامي ببطءٍ وهدوءٍ
مشيتي ثابتةٌ وهادئةٌ
حتى أنني أنامُ بهدوءٍ
لكيَّ في داخلي
أصرخ...

ثقبٌ بسيطٌ

"ثقبٌ بسيطٌ..."

سرممته، لا داعي للقلق "

قالت طبييتي

أفهمُ الآنَ لِمَ
تساقطُ الأحبَّةُ من قلبي
خبيةً تلوَ الأخرى!

حين يتعلَّقُ الأمرُ بالجسد
يُشفقُ علينا
الآخرونَ

لكن...
لا أحدٌ يكثرُ لأحلامنا
التي تُذبح
بصمتٍ!

في شوارعِ طرطوس
أمشي بحذرٍ...

ثمَّة أناسُ
يقفون أمامَ المتاجر
عيونهم جاحظةٌ
أفواههم فاغرةٌ
يشدون شعرهم
ويولولون!

تركنا الوطنَ الضَّاع
حافي القدمين
خاوي المعدة

ثمَّ هربنا

لملاذٍ إلكترونيٍّ
فيه بشرٌ عيونهم رحيمَةٌ
قلوبهم شاسعةٌ تتعاطفُ
حتى مع كلابٍ تجوبُ شوارعَ باردةً
يبيع الأطفال فيها
عيدان الثّقاب

.
الناسُ غالباً
لا يريدونك أنت...
يريدون التّوازن برؤيةٍ نقصهم فيك
جرّب أن تحدّثهم عن نقصك
سيشتمونك ويعضّونك
من كُتفِ قلبك

.
تلاشت صداقتنا
بينما أضْمُك، لحظةً قلتُ:
لا أحبُّ القهوةَ

.
أصبحتُ قليلةَ الوفاء
لا أُقدّرُ أكوابَ قهوةٍ تشربها
أصابتك بالكسلِ
والاكتئاب

يومٌ آخرٌ جيدٌ للاكتئاب

في قصائدي...
لا جديدَ عن بلادٍ نحرِ الوقت

وزرعِ هالاتِ البنفسجِ تحتَ عينيكِ
وتحويلكِ إلى إسفنجةٍ لامتصاصِ
الخرابِ والحربِ
والعتمِ

.
في قصائدي...

لا جديدَ عن بلادٍ أغرب ما فيها:
أبٌ لا ينتحر أبناؤه ليلًا
يتفرَّغُ من عرقِ جبينه الموتُ
لكن يؤجِّله إلى حين!
وأمُّ تُربِّي الأملَ
بالدُّعاء الحزينِ

.
بلادٌ

لا معجزات فيها
سوى أنك تستيقظُ صباحاً لتقول:
يا الله إنه حقاً يومٌ آخرُ
جيدٌ للاكتئابِ

.
هنا:

أقدمُ بلدٍ مأهولٍ
بالحدائثِ

.
أحنُّ بلدٍ متشرَّبٍ
بالقسوةِ

.
أبهى بلدٍ موشومٍ
بالندوبِ

هنا سوريا
الأشبه بغمزة
تشوه خلقي هي
لكنه حقاً
جميل.

لو لم أكن أنا

لو لم أكن أنا
لاخترت أن أكون
ريحاً

أصادق السنونو في
هجرته

أزور بلاداً
حاملة في جعبتي موسيقى
تلغي ناز حروب تحرق البهجة
وتشوي الكلمة

لو لم أكن أنا
لاخترت أن أكون
ريحاً

أرخي ضحكاتي فوق الحقول
لثنيت خبزاً يقتل
جوع البلاد

.
لو لم أكن أنا
لاخترت أن أكونَ
ريحاً

.
أراقصُ جدائلَ النساءِ
ليثورَ الحُسنُ

.
أقطعُ قبودَ القبائلِ
أصلبُ شرفَ
العشائرِ

.
لكيَّ أنا...
أنا

.
أطالعُ حظِّي
في فَنَاجينِ السَّماءِ
عَلَّيْ أرى في بَصْمَةِ إِبْهَامِي
معنى الوجودِ
في الشُّرْقِ
العنيدِ